الأستاذ : خالد يانس التاسعة أساسيا

تحرير موضوع في قضيّة العنف

الموضوع :

أثناء ممارستكم للعبة كرة القدم تعمّد صديقك الاعتداء بالعنف على أحد اللاعبين و حين التقيتما في الحيّ برّر ذلك بسخرية خصمه منه معتبرا سلوكه أفضل وسيلة لفرض الذات فحاولت تنبيهه إلى أخطار العنف على الفرد و المجتمع و دعوته إلى التحلّي بقيم التعايش السّلمي .

انقل الحوار الذي دار بينكما مبيّنا الحجج التي اعتمدها كلّ منكما

مازلت اذكر ذلك اليوم الصيفيّ الذي اجتمع فيه شباب الحي على ساحل البحر صباحا لإجراء مباراة في كرة القدم وفجأة اعتدى صديقي عمر على احد اللاعبين بالعنف فتدخلنا و فصلنا بينهما وبعد نهاية المقابلة التقينا في الحيّ فاستغللت الفرصة و فاتحته في مسألة سلوكه العنيف ولكنّه برر ذلك بسخرية خصمه منه معتبرا العنف أفضل وسيلة لإثبات الوجود و فرض الذات فحاولت تنبيهه إلى أخطار العنف على الفرد وعلى المجتمع ودعوته إلى ضرورة التحلّي بقيم التعايش السلمي .

حين قابلته في ذلك المساء كان يمشي مزهوّا مرتديا قميصا خفيفا كاشفا عن ذراعين رسم على أحدهما وشما في صورة سيفين متقاطعين و كأنّه مقبل على معركة دامية فألقيت عليه التحيّة ودعوته للجلوس معي في مقهى الحيّ وبعد أن تخيّرنا زاوية منفردة و جلسنا فاتحته في الموضوع فقطّب جبينه و عقد حاجبيه و قال في تؤدة المترفّع بصوته المتهدّج الصّاعد من جوفه :

- يا جاري السّاذج إنّ العنف أنسبُ وسيلة لمواجهة سخرية الآخرين وردّ الأذى و خير طريقة لفرض الذات و إثبات الوجود ، فذلك الأبله كثيرا ما سخر منّي و من فريقي المفضّل، ، ولم أجد من حلّ لاسترجاع حقّي إلاّ تلقينه درسًا في البأس والقوّة حتّى لا

www.najahni.tn

يُعيدها ثانية، والكلّ يعرف مدى غَيْرتي على فريقي المفضّل وما يتملّكني من غضب إذا انهزم و حين يسيء أحدهم الأدب معي تثور ثائرتي وتتكلّم لغة الجسد لتردع وتزجُرَ، فَغَيْرتي على فريقي تفوق غيرتي على أهلي وحسَبي ونَسَبي، لذلك استغللت الفرصة ورددت الصّاع صاعين، جَرْيًا على ما سنّه الأسلاف من نهجِ حياةٍ عاشوا عليه وانتظمت وفْقَه معيشتهم، أَلَيْسُوا القائلين:"**العين بالعين والسنّ بالسنّ والبادئ أظلم**".فما مارستُ إلاّ حقًا وما أتيتُ إلاّ صوابًا . إنّني سليل ثقافة تعتدّ بالبطولة والشّهامة وإباء الضّيم، لا يُداس فيها لِلمَرءِ على طرف، فإن تجرّأ أحدٌ على ذلك يجب أن أ ردعه وأجْعَلُه عِبرةً لِمَن يعتبر لأثبت ذاتي وليعرف مقامي و يهاب سطوتي ، دون ذلك قد يستصغر أترابي شأني ويستبيحون حِمايَ، فأغدو موضعا للهُزْءِ يتطاول عليّ كلّ مَن هبّ ودبّ، ألم يقل البطل عنترة بن شدّاد :

فإذا ظُلِمتُ فإنّ ظلميَ باسلٌ مُرٌّ مذاقُه كَطعْمِ العَلْقَمِ

أنا أعرف طبائع النّاس في هذه الحياة، يستصغرون شأن المسالم ويرونه جبانا، وفي المقابل يستعظمون مكانة القويّ ذي السّطوة والبأس يُذيقُهم مِن خرّ قَبْضَتِه وصَوْلة ركلتِه وأذى بَراثِنِه ومَخالِبِه. وقديما قال الحكماء:"**كُنْ ليثًا حتّى لا تستبيحك الضّباعُ**". بِقَبْضتي وساعدي أسود رفاقي وأخضِع أبناء حيّي، فأعيش مهابا يتسابقون لكسب مَرْضاتي ومَودّتي.

صفوة القول ما أجمل السّيادة في زمنٍ لا يُوقّرُ فيه ولا يُبجّل إلاّ الأبطالُ الأشاوسُ العُتاة.

تملّكتني الدهشة ممّا سمعت وأثار استيائي ما وعيْتُ ورنوت إليه و قد اعترتني بهتة ثمّ جمعت شتات أفكاري و قلت بهدوء و رصانة :

- لا يخلو منطقك من الأوهام و تبريرك من الأسقام، فَتَعْبِيَةُ ضلالِ أفعالك بِظِلالِ أفكارك كالمستجير من الرّمضاء بالنّار فلا يوجد في مدوّنات الفكر و صفحات العبر ما يبرّر

www.najahni.tn

العنف و يشرّعه ، إنّ للعنف يا صويحبي أخطاراعلى الفرد و على المجتمع و لا حلّ غير التّحلّي بقيم التّعايش السلمي.

قد تستسهلُ العنف وتراه تصرّفًا طبيعيًّا عاديًا، غير أنّ الأمر على نقيض ذلك تمامًا، فإذا تخلّق الإنسان بالبطش و تقلّد سلوك العنف ، حاد عن فِطرة التّكوين فيه لِيغدو وحشا كاسرًا، وسبعا ضاريًا تستبدّ به غريزة العدوانِ لِتُسكِت فيه نهج الاعتدال واللّطف والكِياسة، فتغدو ردودُ أفعالِه وحشيّةً داميةً، تُفقده سجاحة الأدب ورجاحة العقل وسماحة الطّبع ألم يقل المثل:"**مَن أطاع غضبَه أضاع أدبَه**".إنّ العنف من أبرز عوامل التوتّر والضّغط النّفسيّ،وسالكو دربِه يحاولون الظهور أمام الآخرين في صورة الهدوء والتّماسك، بل إنّك تراهم يتظاهرون بالامتلاء والقوّة والاعتداد بالنفس، بيد أنّ الحقيقة مخالفةٌ للظّاهر تماما، لأنّهم من الدّاخل شخصيّات مهزوزة مُرتبكة، تعيش في وجَلٍ دائم وخوف متواصل، منامُهم متقطّع مشوّش ، وحركاتهم فيها توجّس مستمرّ خشية الاعتداء الفجئيّ عليهم من قبل مَن كانوا ضحيّةً لعنفهم، بدوافع الثّأر والانتقام إضافة إلى الأخطار النفسيّة يعرّض العنيف جسده إلى أخطار عديدة فآل العنف و أهله **سيماهم على وجوههم**، لا من أثر السّجود كما قيل في أهل التّقوى والفضل، بل من أثر المعارك والخصومات.فترى النّدوب و العلامات على وجوههم ، فإذا كشفوا عن السّواعد والصّدور بانت خدوشٌ أخرى أعمقُ وأحدُّ تنطق عن حياةٍ نَذروها للخصام والصّراع كالوحوش الضّارية. وأجسادُنا مِنحةٌ من الله استأمنّا عليها لتستقيم بها دُنيانا، وسيُسائلنا عنها يوم الدّين. فما الجواب وقد أخلْناها صحائف مزخرفةً لا يُطاق النّظر إليها؟ ألم ينهنا الله تعالى عن إلقاء أنفسنا في المهالك بقوله:"**ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكة**". وكثيرا ما تكون عواقب العنف على الإنسان وخيمةً تتسبّب له في إصابات بليغة دامية قد تظلّ فيه عاهةً إلى الأبد .

www.najahni.tn

كنت أخاطبه و أراقب قسمات وجهه فرأيت فيها انكسارا و ربّما تراءت له صور كثيرة من مآسي العنف التي رسخت في ذاكرته فاغتنمت الفرصة و واصلت محاولا تنبيهه إلى أخطار العنف على المجتمع فقلت بصوت واثق :

- أضف إلى ذلك لا يمكن أن يعود العنف على المجتمعات إلاّ بالويْلات والمآسي فتتوتّر العلاقات بين أفراده، وتنتشر الجريمة بمختلف أنماطها، فلا تنشأ بين أبنائه صلاتُ تآزر وتعاون، بل يسود التفكّكُ والتشتُّت و تطغى الخميّاتُ والعصبيّاتُ، فتسري تداعياته الخطيرة في المجتمع سريان النّار في الهشيم سريعا ما تأتي عليه وتُفنيه إفناءً. فإذا استشرى العنف انفرط العِقدُ وانفلت الأمنُ، وغدا العنفُ طريقة فاسدة للتواصل و التعامل ، انظر إلى شوارعنا ولاحظ ما يحدث في وسائل النقل من عنف لفظي لا يعترف بحرمة و لا يوقّر كبيرا ولك أيضا في منابرنا الإعلاميّة خير مثال فالمتحاورون و الخصوم في مجال السياسة يتبادلون الشتائم و يتنابزون بالصفات في حين ينهى الله تعالى عن ذلك بقوله:"**ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمان**"، فاعتبر العنف اللفظيُّ فُسوقًا وفجورًا وارتدادًا عن الدّين بعد الإيمان، فكيف تكون الحال إذا غدا جسديّا تسيل له الدّماء لقد انتشر العنف في شوارعنا ومدارسنا و في الملاعب الرياضيّة ، حتّى أمسى المجتمعُ أشبه بالغاب لا تحكمه المؤسّسات والقوانين، بل يحكمه قانون:"**البقاء للأقوى**" فيُداس المسالمون الضّعفاءُ تحت الأقدام، دون رحمة أوشفقة.وللعنف أيضا أخطار اقتصادية. فبعض الأعمال العنيفة تُرهبُ المستثمرين و لا تشجّعهم على إقامة المُنشآت والمصانع، و لن ننسى ما طال المغازات والفضاءات التّجاريّة الكبرى والمؤسّسات والمصانع من أعمال نهب و سرقة و تخريب أثناء الاحتجاجات أو ظاهرة حرق الأراضي الفلاحيّة التي انتشرت في بلدنا أثناء موسم الحصاد ونتيجة لذلك تراجع رجال الأعمال عن الاستثمار وتعطّل الإنتاج، بل غادر المستثمرون بلادنا، وارتفعت نسبة البطالةُ وتعمّقت المآسي والجراح. و للأسف يا صديقي صارت بلادنا تُصنّفُ دوليّا ضمن الوجهات الاستثماريّة غير الآمنة لكثرة الاعتصامات، والمسارعة بغلق الطّرقات وحرق العجلات، وهذا لا يخدم أصحاب المشاريع.

وفجأة قطع صديقي خطابي و زال عن صوته التكلّف و بان على وجهه التعقّل و سألني في حيرة :

- فعلا أيّها الطيّب للعنف أخطار عديدة لكن ما هي الحلول الممكنة لمواجهة هذه الآفة الاجتماعيّة ؟

www.najahni.tn

سرّني ذلك و واصلت محاولتي لإنارة دربه و مساعدته على التحلّي بقيم التّعايش السّلمي فقلت بكل ثبات :

- لا حلّ لمجابهة ظاهرة العنف غير العودةِ إلى سلوك اللّين والتّآخي والتّحابُب ولا سبيل لإثبات الذّات إلّا بالتحلّي بمكارم الأخلاق و قيم الرفق و التعايش السلمي ، فلا شيء في هذه الحياة جديرٌ بأن يحملنا على مُعاداةِ بعضنا البعضِ، ومُناصبَةِ الواحدِ منّا العداءَ للآخر. وإن عُذِرَ الحيوانُ غيرُ العاقلِ، فلا يُعْذَرُ ابنُ آدمَ الّذي كرّمه الله بفضيلة العقل فيصبر على الظلم ويجعل السّلم سلوكه الطبيعيّ .ألم يقل الشّاعر بشر بن منقذ العبدي :

خُذِ الْعَفْوَ وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّنِي أَرَى الْحِلْمَ مَا لَمْ تَخْشَ مَنْقَصَةً غُنْمَا

ولنا في سيرة رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلّم خيرُ نِبراسٍ وأسوةٍ حَسَنةٍ فقد كان حليما مع الكفّار يوم الفتح فقال لهم قولته الشهيرة " **اذهبوا فانتم الطّلقاء** " ،و لقد ميّز الله تعالى الإنسان باللّغة والكلام، ما يجعل الحوار والنّقاش أفضلَ سبيلٍ للتّعامل بيننا، فالاختلاف في الرّأي والمواقف والآراء أمرٌ بديهيٌّ طبيعيٌّ، ولا سبيلَ أنجعَ لتسويته من النّقاش البنّاء الخلّاق. فإذا تحاورتِ العقولُ غدا الاختلافُ نعمةً ، أمّا إذا تحاورت الأيادي أمسى التّباين نقمةً ووَبالاً. وكما قال أحد الحكماء:"**أفضل طريقة لكسب خصمك هي أن تنصت إليه**".

إذن لابد من أن ننتبه إلى أخطار العنف العديدة و لا حلّ غير مقاومته بالتربية القويمة و التحلّي بمكارم الأخلاق .

صمت صديقي و أصبح هادئا تلتمع على شفتيه ابتسامة تفصح عن الإعجاب ثمّ أغضى عينيه خجلا و لا شكّ أنّ خطابي قد نفذ إلى عقله و صافح وجدانه دون أن يعبّر عن ذلك فلغة النّفوس أبلغ و في الرّوح أوقع و في العقل أنجع وما لبث أن شدّ على يدي واعدا بتغيير سلوكه وعازما على استبدال العنف باللّين في تعامله مع رفاقه .

www.najahni.tn